

وأراد السلطان أن يكتمل أنسه، وينتهج مجلسه، بالماية من أمراء دولته، والجللة من أعيان مملكته، والصفوة من رجال سلطته، ليقتضى معهم يوم فرح وليلة مرور. وبتذاكرون بعض الشؤون؛ ويزيدون في المودة رباطاً؛ وفي المحبة وشيجة، وليتأسروا التمة بما بناه، واللاذة بما شاده، وليسمع منهم أحاديث التناء عليه، وأناشيد الدعاء له ...

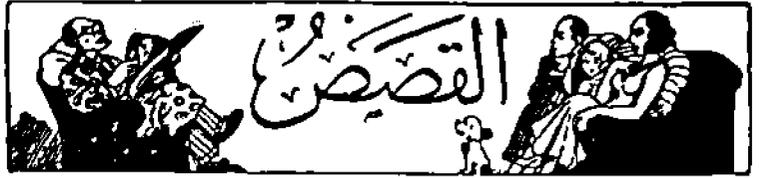
• • •

انتشر الخدم رجال القصر، منذ سبيحة هذا اليوم في أرجاء الميدان، ينظفون وينظمون ومعهم البحتانيون، لجنوا من الفواكه، ومن الأزهار ما ابتسم، وفرشوا القاعد بحشياتها الثمينة الوثيرة، وفصلوها بالوسائد الحريرية، ونشروا أمامها البسط الهندية النفيسة. ثم زينوا ما بين فرجها بطاقات من الورود والرياحين، ونثروا من فوقها حائل القناديل الزيتية الفنية البديعة، وفي الصدر كنت ترى مقع السلطان يمتاز عن غيره بملو يسير بجلا من المئاز من الحشيات والوسائد، وقد نصبت من فوقه قبة مدورة كبيرة من حرير خالص ذات أهداب ذهبية منتظمة وقد أمر السلطان أن تملأ البركة الكبرى من ماء النيل عن طريق قناتها الخاصة، وبث عماليكه وعلمانه بين أسواق القاهرة وحدائقها ليجهوا ما يستطيحون جمعه من الورد ... ثم نثروا في البركة؛ فاختلط شذاه بمنبر ملأها. وغام على سطحها وعام، وابتل وجهه منها واخضل، وفتح فيه قهبل من مائها وعل، فدار على قدمه ساكراً، وانطلق لسانه ساكراً، وبني للسلطان عرشاً على الماء، وعطر بذكركه الأنجاء.

وحول هذه البركة اجتمع قراء المدينة ووعاظها يقرءون ريدكرون. حتى دنا منهم الليل، قانصروا في هداة منه بمد ما أصابوا من الطعام والشراب ما لذ وطاب، ولبثوا زمناً حاليين بما رأوا من لذة ونعيم

• • •

كان للطهارة قد شمروا منذ الصبح من سباع الجدد - يطهون



## قانسوه الغوري

### سلطان مصر الشهيد

للأستاذ محمود رزق سليم

#### الفصل الخامس

#### يوم استقبال

برج السلطان النورى قصره الكبير عدة مرات إلى ناحية النيل، ليراقب نشاط العمل في بناء السواق التي أمر بإنشائها لتجد حدائق الميدان بالمياه المذبة المتدفقة في القنوات الخاصة بين النيل والقلمة

وفي أحد أيام ٩١٥ هـ كان العمل في السواق والقنوات قد تم. وانسلت مياه النيل جارية تسمى إلى البساتين السلطانية. فأشاعت فيها حياة جديدة. ضحكت بها الأرض عن زرع نضر ونبات وسيم. واهتزت الأشجار وتشت غصونها تشي الساكر النشوان. ودبت بشاشة الحياة في الأعواد، فاختصر بابها وانيسط طابها، وتجمع نوارها وأثرت أزهارها. ودنت قطوفها، وألفت على الأرض غلاممودا

وكان كل بناء في الميدان قد أخذ سمته إلى الكمال كما شاء السلطان: من قصور فضة إلى غرف بضة، ومن مقاعد وثيرة إلى سلالم مدرجة، ومن جداول رقراقة إلى بركمومة. إلى غير ذلك مما يتم عن تراف أصيل وعز أنيل، فيه للمين جلوة، وللنفس سلوة، وللأحبة دعاء، وللأسرة نداء ..

السلطانية الشريفة . لله ما أجل القصر والبستان وما أروع  
البركة والمجرى، وما أبهى الغرف والمقاعد ! إن تلك القبة المصروبة  
فوق القعد السلطاني الشريف وهذه البسط والوسائد الحريرية  
وهذه الموائد الشهية . ومن اجتمع حولها من أقداد الرجال ،  
اتخذ كرنا بما يرويه التاريخ عن الملوك الصياد من خلفاء بغداد .  
أحيانا لله بمولانا دولة الإسلام ، وأعز به جانب الدين . .

السلطان : الفضل في هذا التنسيق والنظام يرجع إلى ناظر  
الخاص المقر علاء الدين وأعوانه

علاء الدين : مولانا ! الشكر لله والمقام الشريف . إغما تم

كل شيء بإرشاد مولانا وإشارته

السلطان : كنا نود أن يشاركنا الخليفة الجديد في ليلتنا  
هذه . . . ما رأيك أيها القاضي في الخلافة وما قام بسببها من  
خلاف ؟ ألا ترى أننا حسنا أمرها على خير وجوهه ؟

القاضي : أجل يا مولانا ! لقد كاد يستشري النزاع بين  
الخليفة يعقوب وابن عم أبيه خليل ؛ فقد ادعى خليل أن يعقوب  
لا يصلح للخلافة لأنه أعمى . فرد عليه ابنه الناصري محمد  
قائلا « وأنت أيضا لا تحسن قراءة الفاتحة » ! قلنا أمر مولانا  
باختبار خليل وجدناه وهو يقرأ الفاتحة قد نمر فيها وتعلم ، ولم  
يكمل قراءتها ؛ وذلك للثغرة في لسانه . وقد كنت عادلا يا مولانا  
حينما وكلت الخلافة إلى الناصري محمد وأقررت عهد أبيه بها  
إليه . وزوج الله سبحانه وتعالى أن يجعل عهدكما عهد يمن وإقبال  
ورخاء للمسلمين أجمعين

السلطان : إن عامنا هذا عام رخاء . ولنا في وقاه النيل  
فيه قال حمن ، فقد بانم نحوا من مشرين فزاعا . ولا نزال  
نحتفل بعيد وقائه شكرا لله على نعمائه . ونحن قوم نتفاهل دائما

القاضي : إن البلاد جميعها انتفاهل بسلطنتكم الجيدة . والدين  
أمرنا - بجانب الحذر والحيطه - أن نتفاهل وتقابل الحياة  
دأما بالأمل والرجاء . وكما نميل للآخرة كأننا نموت غدا ، نميل  
للدنيا كأننا نعيش أبدا ...

الطعام ، ويتأثرون في طهيه ما شاء لهم الفن والابتكار . ويبدعون  
في تنظيم أنواعه وتلفيق صنوفه ، وتصنيفها بما ينبي عن ذوق  
حليم ، يناسب هذا الحفل العظيم ، وحشدوا لذلك مئآت من الدجاج  
والأوز ، وعشرات من الضأن السمين ، وشنان من الماء القراح  
البارد ، وجفان الفاكهة اللذيذة ما بين تفاح وكثرى وأعناب ،  
وهيئت أواني الحلوى التركية والشامية والمصرية . إلى غير ذلك  
بما أتفق عليه نحو ألف دينار ؛ في ذلك الزمن الرغد الرخي  
الرخيص

وما إن انصرف اقراء والوعاظ حتى مدت عشرات الأسعطة  
الحافلة المنمقة ، وامتلأت الموائد بالأواني الخزفية وغير الخزفية ،  
ورص فوقها نحو أربعائة صحن صيني . ثم وزعت المأمونية المحوية  
كل قطعة منها نصف رطل ، وقاضت أطباق الأحمال والعلير ...

وأهل السلطان وفي إثره أقبل الجمع . واتخذ السلطان مكانه  
في المقعد السلطاني تحت القبة ، وعن يمينه جلس قضاة الشرع  
والملاء والكتاب والباشرون ومن على شاكرهم من طبقة  
التمسجين ، وعن يساره جلس الأمراء في أهبة أزواجهم وروعة  
أسلحتهم ، وبجانهم عدد من الأعيان

وانتشر في الميدان حوله كثير من الجنيد والهاليك الثورية  
يحافظون على الجمع الحافل ، والمامة عن كذب زروح وتضو ،  
ونحدر ما يجري في داخل الميدان ، ويظنون ما شادت لهم  
الظنون

أكل الأضياف هنيئا وشربوا مريثا . وبعد اطمئنانة انصرف  
الجمع إلا عددا من الملاء والأمراء استبقاهم السلطان ليجاذبهم  
أطراف الأحاديث ويتذاكروا مما شؤون الدولة ، ويقلبوا  
ما مضى من أيامها الجيدة ، ورددوا ما نشد من أحلامها السعيدة  
فقال السلطان : إن ليلتنا هذه من أسعد ليالي السلطنة

فقال أحد القضاة : أجل يا مولانا إنها لمين قره ، وفي  
جيين الزمان قره ، وأدام الله لمولانا الابتهاج والمره . وأطال عهد  
مكه السعيد . . إن هنا الميدان لهدين بتلك الحياة الجديدة المشيئة

من ممالئكم حينما يرون رجلا مثل معين الدين يقرأ قصصه  
( ومراسلاته )

السلطان ( موجها الخطاب إلى معين الدين ) : وما أخبار  
الشاہ إسماعيل الصوفي ؟

معين الدين : يعلم مولانا أن الشاه إسماعيل الصوفي ، كان قد  
تحرك وزحف على الممتلكات الشريفة ، وأعد له مولانا تجريدة  
كبرى لردده وتأديبه . فلما وردت مراسلات الأمير « على دولات »  
أمير التركان ، بأنه هزم الشاه هزيمة منكرة ، أرفقت التجريدة .

وقد أرسل إلينا « على دولات » عددا من رهوس قتل العجم من  
جنود الشاه إسماعيل ، فطلعت على باب زويلة . ولكن الآن

يقال إن جنود الشاه يسبثون بأطراف إمارة بغداد

السلطان : لقد وفد إلينا رسول من لدن إيشاه بنبي أن  
جنوده زحفوا على ممتلكاتنا خطأ وبغير إذن منه ؛ فقبلنا عنده  
وخلطنا على رسوله .. ولكنه لا يزال في الخاطر من عمله شيء ..  
فا الرأي عندك أيها الأمير قرقاس ؟

الأتابكي قرقاس : يا مولانا .. الرأي عندى السمع والطاعة  
لك . إذا أمرت فالحيوف مسلوقة . والرماح مشروعة ، والنفوس  
تواقة إلى الجهاد والنصر

محمود رزق سليم

لفصل بية

السلطان : صدقت ! وإن دأب الإنشاء والبناء . وإن آلو  
جهذا في أن أترك بكل موضع أثرا مشيدا نافعا ، وأن أسلك  
سبيل إعلان شأن السلطنة وإظهار عظمتها ، وللترفيه عن عامة  
سكانها ، وتزويد البلاد بما ينمى ثروتها ويوسع نفوذها . إن  
سلطنة مصر اليوم - بمون الله - أقوى سلطنة إسلامية ،  
وهي من أوسع دول الأرض جاه وقوة ومالا ، وستبقى كذلك  
ولن ينال منها المايشون منالا .. أين القاضي معين الدين ؟

( يأتي القاضي معين الدين بن شمس ، وكيل بيت المال  
ونائب كاتب السر - وكان في وجهه دمامة - ثم يتقدم إلى  
جانب السلطان من الخلف ليقرا على مسامحة المراسلات والقصاص  
- الظالم - )

السلطان : ما عندك من أخبار البلسان ؟ لقد كانت بلادنا  
تفخر بزراعة في أرضها لأن له دهنا عجيبا ينال ملوك الفرنجة في  
اقتياعه ، إذ يستخدم عندهم في ماء العمودية . ثم انقطع ثبته من  
بلادنا جملة

معين الدين : لقد خاطبنا بلاد الحجاز عندما ملنا أن  
البلسان ينبت في بعض جهاتها ، وكلفنا بعض نوابنا تحملا إلينا  
شجيرات منه غرسناها بالطرية ، فنبتت نباتا حسنا يبشر بمستقبل  
عظيم . فليطمئن بال مولانا

( يجول السلطان إلى بعض خاصته ، ويسر إليه أنه يجبل

## للمؤلفين وناشري الكتب القديمة

شركة مطبعة مصر في خدمتكم

تؤدي التسييلات المجزية في إخراج كتبكم . اتصلوا بها

تجدوا أجل طبع وأحسن اتفاقات